الفصل الثالث

المعلـــــوم

obeikan.com

obeikan.com

إن كل ما توصل إليه العلماء عبر التاريخ وتتالى الأجيال في الأزمنة والعصور المختلفة ليس إلا داخلا في مفهوم إطار ومحتوى علم الله المحيط بكل شيء وهو قد عبر عنه في كلامه في كتابه الخاتم (القرآن العظيم) الذي لم يفرط الله فيه من شئ في مستوياته المختلفة في القرآن العربي وفي قرآن الحقائق وقرآن العين وفي اللوح المحفوظ وفي الكتاب المكنون وفي أم الكتاب وفي قرآن الذات وكلهم لا يمسهم أي يقترب منهم إلا المطهرون. ويقول الأستاذ الدكتور/ زغلول راغب النجار[1]: «يزخرا القرآن الكريم بالعديد من الآيات التي تشير إلى الكون وما به من كائنات (أحياء وجمادات) وإلى صور من نشأتها ومراحل تكوينها وإلى العديد من الظواهر الكونية التي تصاحبها.. مما يبلغ بالآيات الكونية (الصريحة والقريبة من الصراحة) إلى سر من آيات القرآن الكريم تقريباً.. والمفسرون المعتدلون لهذه الآيات يرون أنه مع التسليم بان الإشارات الكونية في القرآن الكريم قد وردت في نعرض التذكير بقدرة الله وبديع صفته فإنها تبقى بيانا من الله خالق الكون ومبدع الوجود ومن ثم فهي كلها حق مطلق... ولا غراب إذن من انسجامها مع قوانين الله وسننه في الكون، ومع معطيات العلوم الحديثة عن حقائق هذا الكون .. كذلك فإن المعتدلين من المفسرين يرون أنه مع التسليم بأن تلك الإشارات لم تروقى القرآن الكريم بهدف التبليغ بالحقيقة العليمة لأن الحكمة الالهية قد اقتضت ترك ذلك لاجتهاد الإنسان على مر الزمن، إلا أنها تتميز بالدقة المتناهية في التقييد والثبات في الدلالة والشمول في المعنى بحيث يدرك فيه كل جيل ما يتناسب ومستوياتها الفكرية وما وصلوا إليه من علوم عن الكون وما فيه.. ثم أن تلك الدلالات تتميز كلها بالبعد إلى الحقيقة الكونية قبل أن تدرك الكشوف العلمية شيئا منها بقرون طويلة وهذا في حد ذاته يمثل الأعجاز العلمي في القرآن الكريم الذي هو أحد أوجه الإعجاز العديدة في كتاب الله.. كما يبق من أنسبها لعصر

(١) في كتابة «الآيات الكونية في القرآن الكريم» لناشره مكتبة الشروق الدولية.

التقدم العلمي و لتقني الذي نعيشه لتثبت إيمان المؤمنين ودعوة الجاحدين من مختلف صور المشركين والكافرين والضالين... وطوق النجاة هو في الاعتزاز بالإسلام العظيم والتمسك بالقرآن الكريم الذي يتجلى إعجازه العلمي في عصر العلم الذي نعيشه » .

أن العلوم الحديثة في كافة مجالاتها وموضوعاتها وفروعها وتخصصاتها في عالم الشهادة وعلومه ومعارفه وفي عالم الغيب وعلومه ومعارفه منها ما تميز فيه العلماء وفي تطبيقاته التكنولوجية المفيدة ومنها ما أخفق فيه العلماء ولا يزال علمهم فيه قليل ومعلوماتهم فيه قليلة أو تكاد تكون معدومة.

إن مجهودات العلماء واجتهاداتهم العلمية عبارة عن تفسير وتأويل وملاحظة ووصف للظواهر التي يدرسون وتصرفاتها وحركاتها المؤثرة في واقعها ومجالاته من خلال المراقبة أو التجريب للأشياء وكيف تتصرف أو تؤدي من وظائف ..إلخ. أو المعارف الحسية ثم الرياضيات.

لكن مجهوداتهم لا تصل إلى معرفة كنه أو ماهية أو ذاتية الأشياء ومعلوماتهم تكون أحياناً كثيرة خاضعة لمبدآ (عدم التيقن) الذي تحدث عنه الدكتور/ ستيفين هوكنج في كتابه الذي نعلق عليه (Uncertainty Principle) وهو خاص بالجسيمات والجزئيات ومتناهية الصغر، وكما قلنا فإن العلماء لم يوجدوا أو يخلقوا هذه الأشياء وإنما هي موجودة أي من الموجود فعلا الذي يدل على (الواجد) والمصنوع الذي يدل على (الصانع) وحكمته وعلمه وقدرته وطاقته، في إعجازه وإبداعه وكما له وتدبيره كما يحدثنا القرآن العظيم ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَعَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ [الملك:١-٤].

أن العلوم الفيزيائية – النظرية والكمية والتطبيقية ذات مقدرات محدودة

فيما يتعلق بتفسير كنه أو ما هية أو ذاتيه العديد من الظواهر والأشياء الموجودة وهذا – على سبيل المثال – ما قرره إدينجتون عام ١٩٢٩ في حديثه عن الذرة، وما يرسون عام ١٩٣١ في حديثه عن جوهر الكائن الواقعي وما حدَّث به أيضاً الفليسوف الألماني إيمانويل كانت (EMANUEL KANT) وهو ما تقرر أيضاً بالنسبة للكهرباء والضوء والجاذبية وغير ذلك وقد تحدث عن ذلك برتراند راسيل في كتابه «النظرة العلمية» (SCIENTIFIC OUTLOOK) ويعترف العلماء حاليا باستحالة الوصول إلى أو تحقيق (الحقيقة العلمية) واقصى ما يمكنهم الوصول إليه أو تحقيقه هو إيجاد أفضل وأقرب وأنسب التفسيرات للظاهرة موضوع البحث والدراسة، وكما يقول الأستاذ / عبد الرازق نوفل أن بعض الناس: (يعتقد أن الإنسان قد وصل بعلمه إلى درجة النهاية أو إلى درجة تكاد تكون قريبة من النهاية لا سيما وأنه لم يقهر الفضاء فحسب بل تمكن من الوقوف على كل ما كان يعد أمراً مجهولاً.. اسرار منظم الأمراض وعلاجها.. وأمكن له أيضاً أن يتابع تطورات خلق الجنين في الرحم.. وأدخل العلم في حياته بحيث توافرت له كل أسباب السعادة. والحقيقة أن العلماء يعترفون أنهم مازالوا في بداية الطريق العلمي وأنهم كلما توغلوا فيه تيقنوا أنهم يبتعدون عن النهاية إذ يتضح لهم من الأسرار والمعميات ما يجعلهم يتأكدون من أنه لا سبيل إلى بلوغ نهاية المعرفة وقد وصل العلماء إلى حقيقة في البحث العلمي وهي أن العلم هو تقدم مطرد ومستمر وأن وسائل العلم كذلك دائماً تتغير بحيث لا تقف عند صورة واحدة، وبذلك فلن تبلغ نهاية تقف عندها وإلا لم تصبح علما.»

يقول الأستاذ الدكتور/ عمرو شريف[1] إن الأدلة التي ظلت تقدمها نشأة الحياة تثبت بشكل (غير مباشر) وجود الذكاء والتصميم والقصد في خلقها، ثم

(١) في كتابه «خرافة الالحاد» الفصل السابع بعنوان (التصميم والتطوير بين الإله والإلحاد) الناشر مكتبة الشروق الدولية.

كانت الثورة المعلوماتية التي أظهرت أن ما في ظاهرة الحياة من معلومات يثبت بشكل (مباشر) ما فيها من ذكاء وقصد وتصميم ومن ثم يشير بشكل مباشر إلى الأله الخالق، وفي كتابه (NEW SCIENTIST) يقول بول ديفيز : «لقد أعتدنا أن ننظر إلى العالم باعتبار أنه يتكون من جزئيات المادة وأن نعتبر المعلومات ظاهرة ثانوية مرتبطة بتلك الجزئيات، وحديثا تبدلت النظرة فصرنا ننظر إلى الوجود باعتباره معلومات جاءت المادة لتجسيدها، ولذلك فبعد أن كنا ننظر إلى الكون باعتباره ظاهرة فيزيائية وإلى الحياة باعتبارها ظاهرة كيميائية صرنا ننظر لكليهما باعتبارهما «ظاهرتين معلومتين».

وقد كان الفيزيائي الكبير جون ميلر (JOHN Archibald Wheeler) (١٩١١-٢٠٠٨م) عالم الفيزياء النظرية الأمريكي الذي أحيا الاهتمام بالنظرية النسبية في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، هو أول من طرح عام ١٩٨٩ هذا المفهوم المعلوماتي حين قال «غدا ستتعلم كيف نفهم الفيزياء بلغة المعلومات».

إن المعلومة (موجودة) ومختزنة أو يختزنها الشيء، كل شيء، وتحويها أو تحتويها (الكلمة) في القرآن العربي المكتوب والكون الطبيعي المخلوق كلاهما (كتاب) لله مقروء في القرآن اللغوي العربي الكلمة ومنظور في الكلمة المخلوقة في الطبيعة والوجود الكوني وكلاهما (نور) والمعنى الحقيقي في الأثنين واحد ومتطابق يعلمه رب 'العالمين خالق الوجود والعليم بالقرآن في علمه الكلي الشامل المحيط بكل شيء في كلياته وجزئياته وعمومة وخصوصة ومجمله وتفصيله وعلانيته وخفاياه وظاهره وباطنه ونوره وطاقاته وقواه...إلخ. ويكتشف منه الإنسان العالم بالقدر الذي يشاؤه الله من العلم والمعلومات أو بوسائل تحصيلها. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة:٢٥٥] ولا يعني ذلك تطابق العلمان الالهي والإنساني وانما يعني ان ما يتوصل إليه أو يكتشفه العلماء أو يحيطون به داخل

فيما يعلمه الله لا يخرج عنه أو يزيد عليه أو عن محيطه لأنه سبحانه وتعالى (الواسع – العليم) الذي يعلم كل شئ عن أي شئ وعن كل شئ وكل المعلومات مستفادة منه، وكما يقول القرآن ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١] وفي القرآن أيضاً ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الإنعام:٥٩] وفي سورة البقرة ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٣١]، وسر الكلمة هو سر الخلق الكائن أي المخلوقات كلها وهي معلومة كلها له سبحانه في علمه الذاتي بسر ما كان وما سيكون وما هو كائن لأن الزمان الماضي والحاضر والمستقبل ليس بُعداً يحد الله أو يخضع له الله سبحانه وتعالى وكما كان يقول الدكتور/ محمد إقبال[1] فإنه لا يمكننا أن نتصور الله في الزمان وإنما يمكن أن نتصور الزمان في الله لأنه الأول الذي ليس قبله شيء والأخر الذي ليس بعده شيء. فالزمان بعد من الأبعاد التي تحكم هذا الكون ويعيش في إطاره الإنسان وفي فهمي فإن البعد الزماني يتصل (بالقدرة) لله وما خلق وكيف خلق ومتى خلق والتي تعبر عنها أو تفسرها (الطاقة) (القدرة) الإلهية سواء (الكامنة/ المختزنة) وهي من تجليات الاسم الإلهي الحسن (الباطن) أو (الطليقة الإيجابية) الفاعلة وهي من تجليات الاسم الإلهي الحسن (الظاهر) حيث أن الله سبحانه وتعالى هو الظاهر والباطن. والقدرة هي الطاقة وهي عند الله غير محدودة وغير محددة وغير متناهية وغير نسبية من خلال كونه سبحانه وتعالى في ألوهيته وربوبيته على كل شيء قدير كما جاء في التوراه والإنجيل وفي الكثير من آيات القرآن العظيم، فالقدرة صفه والقادر والقدير اسمه لا يعجزه شيء ولا يعوق

(١) الفيلسوف والصوفي الباكستاني.

إرادته شيء ولا يحول دون تحقيق و تحقق أمره شيء وهو ما يفهم من القرآن العظيم الذي يقول ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢]. فإذا كانت المادة / الطاقة/ تتبع المخلوق فالكلمة تتبع الخالق ليكون الوجود في الأصل وجودا معلوماتياً في علم الله وتقديره كتاب (القدر) ثم تجسد بسر كلمة (كن) وهي ليست منطوق كلامي أو لغوي لله الآمر بالتنفيذ في الوجود المادي المحسوس[1] أي أن (المادة) تجسد الوجود المعلوماتي غير المادي، الموجود في علم الله القديم الأزلي والأبدي بكل شيء، كما يقول لنا القرآن وما سبق في الكتب الإلهية (التوراه والإنجيل والزبور..إلخ).

قال الله تعالى في إثبات العلم له سبحانه ولو باخفى الخفيات حتى بما يهجس عل خاطر الإنسان وتوسوس به نفسه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق:١٦] وقال تعالى في بيان كمال علمه بدلالة الخلق عليه ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٣].

وقال تعالى في بيانه أنه سبحانه عالم بكل شيء في السماء والأرض حتى الحديث الذي يسره المرء لأخيه ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة:٧]. وقال تعالي في ذكر أنه سبحانه عالم بالإنسان في حال كونه جنيناً في بطن أمه وفي حال نشأته (﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النجم:٣٢] وقال تعالى في ذكر علمه بكل شيء في الأرض ومياهها والسماء وأجوائها في كل وقت وحين وواقع مظلم ليلا أو مضئ نهاراً في عالمي الغيب والشهادة وبالنسبة للإنسان في وعي الصحو ولا وعي النوم

(١) ولكن لها اسرار ومعاني وحقائق أخرى تم ذكرها في كتاب آخر لنا.

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنعام : ٥٩-٦٠].

أننا يمكننا فهم وتفهم ما كان يقوله الدكتور الفرنسي (المؤمن) موريس بوكاي[1] (Maurice Bucaille) من أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي ليس فيه أي خطأ علمي أو أي نص لا تتفق العلوم الحديثة معه.. أن مسائل الإيمان يلعب فيها العقل والعلم دورا رئيسياً.

وأن الجذور الأسطورية للمعتقدات الدينية ظلت مؤثرة وقوية حتى بعد إرسال الله تعالى للرسل، وألقت بظلال وغشاوات على نقاء عقائد سماوية موجودة.

مبدأ عدم التيقن

في فصل (مبدأ عدم التيقن) في كتابه يقول العلامة هوكنج من خلال دفاعه عن المبدأ في ميكانيكا الكم وما توصلت إليه من نتائج «ان نظرية أينشتاين للنسبية العامة تحكم فيما يبدو بنية الكون ذات المقاييس الكبيرة، وهي ما يسمى بنظرية كلاسيكية أي أنها لا تأخذ في الحسبان مبدأ (عدم التيقن) لميكانيكا الكم[2] كما

(١) في كتابه «التوارة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث» الذي ترجم من الفرنسية إلى العربية، وأشرنا إليه فيما سبق في «المدخل للكتاب».

(٢) والمبدأ الذي قال به هيزنبرج وليزي ينطبق على الكائنات المتناهية الصغر فقط لا يمكن أبداً أن يجب تظهر بدقة مكان وسرعة الجزئ (PARTICLE) في نفس الوقت.. فكلما استطعنا قياس أحدهما بدقة كلما تضاءل أنه أمكان قياسنا للأخر، وهو مبدأ لا يصح تطبيقه على الكون وكائناته الكبيرة.. وإلا فإنه سيوصلنا إلى استنتاجات ومعلومات غير صحيحة وغير دقيقة.. ولذلك كان إينشتاين يتعارض تطبيق المبدأ التطبيق الواضح الذي إراد له علماء لكم، لأنه يشير إلى العشوائية أو الصدفة التي لن يؤمن بها إينشتاين.

ينبغي أن تفعل بفرض التوافق مع النظريات الأخرى، والسبب في أن هذا لم يؤدي إلى أي تعارض مع المشاهدة هو أن كل محاولات الجاذبية التي نجدها طبيعياً هي مجالات ضعيفة جداً على أن نظريات المفردة تدل على أن مجال الجاذبية ينبغي أن يصبح قويا جداً في موقفين على الأقل الثقوب السوداء والانفجار الكبير وفي مثل هذه المجالات القوية ينبغي أن تكون تأثيرات ميكانيكا الكم أمرا مهما، وهكذا فبمعنى ما فإن النسبية العامة الكلاسيكية بتنبؤها بنقط ذات كثافة لامتناهية تتنبأ بانهيارها هي نفسها تماماً مثلما تنبأت الميكانيكا الكلاسيكية (أي غير الكمية) بانهيارها باقتراح أن الذرات ينبغي أن تتقلص إلى كثافة لا متناهية. وليست لدينا بعد نظرية متماسكة كاملة توجد النسبية العامة ومكانيكا الكم.. ولكننا نعرف بالفعل عدداً من الملامح التي ينبغي أن تكون فيها .. وسنوصف بعد ذلك النتائج التي ستحدثها هذه الملامح في الثقوب السوداء والانفجار الكبير...».

وقد كان الدكتور/ ستيفن هوكنج طُواقاً لمعرفة بداية الكون بهدف وقصد إعطاء الثقة التامة والكاملة للفيزياء وفيزياء الكم وقوانينهما وحدها دون حاجة إلى وجود (خالق) ومناقشة هذا الأمر عن طريق اقتراحه ضم النسبية العامة إلى ميكانيكا الكم بحيث يصل في النهاية إلى (جاذبية الكم) أو إلى نظرية توحيد القوى التي يعتبرها نظرية كل شيء.. (THEORY OF EVERY THING).

أما نظرية (الوتر) ففيها مشاكل وصعوبات كثيرة يجب حلها قبل إمكان المناداة بها كالنظرية النهائية الموحدة للفيزياء (توحيد الفيزياء).. وإن كان مصيرها كما يقول ستيفين هوكنج في ذلك يمكن أن يتحدد خلال السنوات القليلة القادمة.. لنعرف هل يمكن حقا أن توجد مثل هذه النظرية الموحدة أم أننا كما يقول « نطارد سرابا » وهل من المقطوع به أن النظرية ستكون صحيحة وأن نتائجها ستكون صحيحة؟».

وعندي أنه من غير المستبعد أن تكون القوى الأربعة التي يتكون منها البنيان

الكوني مرتبطة فيما بينها وتعكس قوة واحدة تربطها كلها أي بحيث تعتبر هذه القوى الأربعة مظاهر متعددة لحقيقتها الواحدة.. وإنه وإن كان علماء الفيزياء والرياضيات وفيزياء الكم – ومن أبرزهم ستيفن هوكنج – يحلمون بتحقيق نظرية توحيد القوى كما ذكرنا ونقلناه عن هوكنج ، فإننا نتوقع أن يجئ اليوم الذي يتحقق فيه هذا الذي يرجوه العلماء حيث أن وحدة القوى الأربعة سيعكس بدوره حقيقة (لا إله إلا الله) الواحد الأحد الذي نؤمن به ونعبده وبحيث تكون هذه القوة الواحدة المخلوقة إنعكاس للقوة الواحدة الخالقة أي ليكون المخلوق انعكاسا للقدرتها على الخلق والإيجاد بتجليها في تأثيراتها الإيجابية الدائمة، مخلوق وخالق..

ولا أعلم السبب في إصرار البروفسور هوكنج على التوسع في تطبيقات نظرية أو مبدأ (عدم التيقن)؟ أن فيرنر هيز بنرج الذي صاغ النظرية في عام ١٩٢٩ كان يتعامل مع الحبيبات المتناهية الصغر ولم يستطع لا هو في وقته ولا غيره من العلماء في وقته وحتى وقتنا الحالي من خلال التقنيات والوسائل التكنولوجية المتاحة وكل الإمكانات المتوفرة ، لم يستطيعوا أن يحددوا بنفس الدقة مكان وسرعة الحبيبات (PARTICLES) في نفس الوقت وهو ما أدى بهم إلى تثبيت مبدا عدم التيقن (UNCERTAINTY PRINCIPLE). أن المبدأ ينطبق حالياً على ملاحظة لجزئية محددة خاصة بالحبيبات أو الجزئيات المتناهية الصغر وهو مبدا قد لا يثبت أو يصح الأخذ به في أزمنة مستقبلية تتطور فيه تقنيات المراقبة والملاحظة والقياس وامكانيات الدقة في التحديد عند العلماء التي توفرها التقنيات والتكنولوجيات المتقدمة. وربما دقة الفيمتو ثانية التي اكتشفها الدكتور/ أحمد زويل. والحقيقة أن مبدأ اللاتحديد الذي قال به هيزنبرج إنما يعكس الضعف البشري في عدم القدرة على تحديد مقياس بعض الكميات أو المقادير الفيزيائية بدقة كافية ولا يعني هذا أن هذه الكميات أو المقادير غير دقيقة في حد ذاتها

والعجز البشري يقترن بأجهزة غير دقيقة ، وأحب أن أقول هنا أن التقويم الزمني الجديد «الفيمتو ثانية» قد فتح أبواب عالم المادة وديناميكياتها لترى الذرات تدور ، وفق هذا المقياس وفي الزمن الحقيقي وليس المتخيل، هو ما لم يتناوله الدكتور هوكنج في كتابه بالرغم من أن هذا الفتح العلمي له آثاره العالمية لما فيه من تطوير فيمتوكيمياء الليزر ليكون بالإمكان رصد تطور التفاعلات الكيميائية كما تحدث بالفعل في زمن حقيقي وما سيكون لذلك من نتائج ومؤثرات العالم الذري والجزيئي وفيزياء الكم وسيتفتح في المستقبل القريب ضمن مسيرة تطور العلوم واتساعها وزيادتها بإضافة مستجداتها إلى الصرح العلمي الموجود والقائم وإن كنت لا أعلم ما إذ كانت النتائج والمؤثرات قد اتضحت فعلاً في وقتنا الحالي للعلماء المختصين.

وعلى أي حال فإن مبدأ عدم التيقن لا ينطبق على (الأحداث المستقبلية) في الظواهر الكونية الطبيعية أو الأحداث الإنسانية المتعلقة بحياتنا ووجودنا في الأرض وهي الأحداث التي يتناولها (علم المستقبل) (FUTUR OLOGY) ويتناولها من خلاله العلماء والباحثين بمستقبل الأحداث بالتوقع لحدوثها بصحة ودقة ويقين في الزمان المحسوب والممكن. أن ظاهرة علم المستقبل المتصلة بالتنبؤ المتيقن هي ظاهرة علمية تخضع للدراسة والتحليل والتوقع ولابد فيها من معطيات خاصة بالظاهرة موضوع الدراسة وما يتصل بها من ملابسات وأسباب أو ظواهر أخرى كما أنه لا بد من وجود مدة زمنية محددة أي زمان محدد تتحقق فيها التوقعات المستقبلية للحدث أو الظاهرة الإنسانية أو الطبيعية محل الدراسة وهي فترة زمان غير طويلة وزمانها زمان حقيقي وليس زمان تخيلي كما في ميكانيكا الكم، وذلك حتى يكون التوقع أو التنبؤ دقيقاً وصحيحاً متيقناً.

هذا وأن ظاهرة التنبؤ ليست ظاهرة تخيلية أو تصورية فقط ولكنها ظاهرة علمية وكما يخبرنا علماء النفس فهي إحدى الظواهر المعتبرة من أهداف (التفكر العلمي) يأتي ترتيبها بعد (الفهم) بل هي مبنية على الفهم إذ مؤداها هو تصور

انطباق القانون أو القاعدة العامة في مواقف أخرى غير تلك التي نشأ عنها أساسا وفي حالة صحة التنبؤ الإنساني فإن معنى ذلك أن المعلومات التي أقيم التنبؤ على أساسها صحيحة وبذلك يكون التنبؤ أسلوباً علمياً في التفكير قائماً على أساس علمي محدد. ومثال ذلك فيما يتعلق بقانون الحركة الذي يقول أن كل جسم يتحرك يستمر في حركته ما لم يعوقه عائق ويمكن أن نستنتج منه أو تتنبأ على أساسه أن الأجسام المستديرة المسلك تستمر في حركتها لمسافة أبعد من تلك التي تستمر فيها الأجسام الخشنة وذلك لاختلاف درجة الاحتكاك في الحالتين. ويلا حظ أن الفهم بالإضافة إلى التنبؤ يمكنان الإنسان من الوصول إلى التحكم أي الوصول إلى هدف معين أو نتيجة محددة باستخدام معين للظروف التي تحقق الظاهرة. وهذه القواعد العلمية تعبتر أساساً لدراسة الظاهرتين اللتين وردنا في آياتين من آيات القرآن العظيم كأساس للتنبؤ وهما:-

(١) المشاق التي تقابل أصحاب العقائد والمثل والقيم في خضم السلوك الواقعي في المجتمعات البشرية المتباينة العقائد والنظم والتوجهات والميول وأنماط السلوك.

(٢) ظاهرة الانتصار والهزيمة في الحروب والأسباب المعنوية والمادية للنتجتين واتصالهما بالتركيب الكلي لبنيان الدول. وقد تحدث القرآن العظيم عن ظاهرة التوقع أو التنبؤ في إطار علم مستقبل الأحداث فيما يلي:-

(١) سورة الروم ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الروم: ١-٥].

(٢) سورة العنكبوت(٢) ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾ وتاريخ المسيحية والمسيحيين شاهد على ذلك.

(٣) سورة آل عمران حيث كان لدى عيسى النبي القدرة على الإنباء بما يأكل الناس وما يدخرون في بيوتهم ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

(٤) سورة يوسف في تفسيره للرؤيت (الفتيان في السجن وملك مصر في السبع بقرات). والتوقع أو التنبؤ وهو أحد مظاهر علم المستقبل الذي يشمل أيضاً التخطيط طويل المدى والاسقاط (PROJECTION) وهو يستخدم في الدراسات التي تركز على المدى الزمني القصير لاستخلاص الاتجاهات العامة والعلاقات المأخوذة من متابعة ماضي الظاهرة محل الدراسة واستشراف المستقبل بمعنى الاجتهاد العلمي المدروس الذي يستهدف صياغة مجموعة من التنبؤات المشروطة الخاصة بالمعالم الرئيسية للمجتمع عبر فترة زمنية لا تزيد عادة عن عشرين عاما في الزمان الحقيقي وليس في الزمان التخيلي الذي تفترضه ميكانيكا الكم ويريد منا علماؤها أن نعتقد بوجوده المتخيل أو أن نبني على أساسه معلوماتنا الحالية أو المستقبلية عن الكون المتصور أو المتخيل أو المفترض.

وإن ما ذكرته آيات القرآن العظيم عن سعي النبي موسى عليه السلام ورغبته في «التعلم» من العبد الذي أتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علمًا تشير في مفهوم من مفاهيمها إلى (علم المستقبل) مستقبل الأحداث التي كان يعلمها العبد العالم ولم يكن يعلمها النبي موسى فيما هو فرق بين علم الظاهر وعلم الغيب في قدرهما المتيقن والأخير لم يكن يؤمن به هوكنج.

وعلى ذلك فإذا كان العلامة ستيفن هوكنج/ يقول أنه مع تقدم ميكانيكا الكم فقد وصلنا إلى تبين أن الأحداث هي ما لا يمكن التنبؤ به بدقة كاملة وإنما هناك دائماً درجة من عدم اليقين أو التيقن، فإن الدين (الإسلام – القرآن) يخبرنا ويقدم لنا نماذجاً وحقائقاً لما هو يعتبر تنبؤاً صحيحاً ودقيقاً ليس فيه أي قدر من عدم التيقن ومستبعدا بذلك ونافياً تماما فكرة أو نظرية «عدم التيقن» في الأحداث

المستقبلية في حياة الإنسان وفي التوقعات الطبيعية بحيث أن هذا المبدأ الذي ينادي به علماء ميكانيكا الكم لن يعتبر (قيدا) على قدراتنا على التنبؤ كما أنه لن يكون فاعلاً أو مؤثراً يمنعنا أن نتلقى الحق والحقائق من الوحي الموحي به من رب العالمين بكلامه إلى رسله جميعا كذلك لما أوجاه إلى خاتهم محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن العظيم الذي يقدم ويبين لنا في آياته (الفهم) المكتمل للأحداث في موقعنا من الكون والغائبة في وجودنا نفسه إذا فهمنا الآيات الفهم الصحيح أو بالتأويل الصحيح.. وعند ذلك سنجد في آيات القرآن العظيم الإجابات الشافية والكافية على أنواع ونمط الأسئلة التي كان يسألها هوكنج وغيره والتي ذكرناها فيما سبق من كتابنا. أن الوجود الكوني منضبط بدقة ويمكن (التنبؤ) بظواهر فيه كما حدث مثلاً في اكتشاف كوكب أورانس (URANUS) وبعض عناصر جدول مينديليف .. وهذه القابلية للتنبؤ تمتد من العالم الطبيعي (الفيزيائي) إلى الكائنات الحية وللوجود الكوني والفيزيائي والبيولوجي والإنساني وكانت كلها وراء إيمان إينشتاين بوجود الإله كما أن الغائية والقصد يعتبران بإطنان موجودان لظاهر في الخلق.. ويعبران عن إسمين لله تعالى هما (الظاهر) و (الباطن) وأن حرية الإرادة الإنسانية هي أهم ما يميز نشاطاتنا العقلية الحرة وبما أثبته العلم من خطأ مفهومي (الحتمية البيولوجية) و (الحتمية التربوية) كما وأن (الحتمية الفيزيائية) التي تنطبق على الجسد الإنساني لا تنطبق على العقل الإنساني ونشاطه في إطار (حرية الإرادة) وهو نابع من أسرار عطاء الله بالنفخة الروحية في الإنسان، وقدراتها التي لا يؤمن بها الملحدون من أمثال العالم الكبير والجليل ستيفن هوكنج وغيره، أو لا يريدون أن يؤمنوا بها وبقدراتها وطاقاتها، وهي على الأرجح (نور) من الاسم الإلهي الحسن وطاقاته حيث (النور) لله تعالى في القرآن العظيم اسم وطاقة. ونحن لا زلنا لا نعلم عن أسرار وحقائق (الروح) وماهيتها أو كنها إلا القليل الذي يكاد يكون معدومًا.

وإذا كان الدكتور/ هوكنج يتوسع في تطبيقات مبدأ أو نظرية «عدم التيقن» لتشمل – عنده – كل شيء حتى اللامتناهي في الكبر كما في سماوات الكون مثلاً فإننا نعلم على وجه التيقن (أي حيث ينتفي تطبيق مبدأ عدم التيقن) إن الشمس مثلاً تأتي من المشرق ولا تأتي من المغرب، وهي حجة لحقيقة تصرف هذا النجم على وجه اليقين وليس على أساس عدم التيقن.. وهي الحجة التي حاج بها إبراهيم النمرود ويقول فيها القرآن العظيم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٨]. هذه واحدة...

وبالنسبة للإنسان كمثل آخر فإن (الموت) الذي يلاقيه الإنسان يعتبر معلومة يقينية حقيقة يقينية لا ينطبق عليها مبدأ عدم التيقن أو نظرية عدم التيقن.

وأحب أن أؤكد أن الهندسة الوراثية وهي العلم الذي يبحث في تغيير أو التحكم في الجينات الوراثية للنبات والحيوان ثم الإنسان وذلك بصفة عامة لمنع انتقال أي عيوب أو نقائص موجودة في الجيل الأول (الأصلي) إلى الأجيال التالية وبذلك يمكن الوصول بالسلالات المتولدة عن بعضها البعض إلى السلالة الفائقة أو السلالة السوبر، حيث تجرى دراسات مكثفة خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية لتحديد ومعرفة وظائف كل الجينات الموجودة في داخل نواة الخلية البشرية ضمن مشروع (تحديد الجين الإنساني) الذي يقوم بتحديد ورسم الخريطة الجينية للإنسان ووظيفة كل جين، ويتم ذلك عن طريق تغيير مسار خلق قائم بالفعل وليس خلقا جديداً أننى أؤكد أن الهندسة الوراثية وعلمائها لازالوا وسيظلوا غير قادرين على قهر الموت أو تجنيب الإنسان ما يلاقيه أو يذوقه من (الموت) حتى ولو أستطاعوا أن يطيلوا من عمر الإنسان أو إجراء تعديلات أو تغييرات فيه كما يقول القرآن العظيم في ذلك في المستقبل في حوار الشر مع الخير (الشر على لسان ابليس والخير في المنطق الإلهي) ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩]، بمعنى أن الإنسان العالم سيتمكن بعلومه أن يتوصل إلى

أحداث تغييرات في خلق الله أي في الإنسان نفسه وفي الحيوان وفي النبات وفي الطيور وفي الحشرات وفي الجماد وفي البيئة والعوامل الطبيعية وسائر ما يشمله تعبير القرآن العظيم (خلق الله) الذي ذكره على لسان أبليس الشر. ولذلك فليس غريبا أو مستغربا أن يطالعنا ستيفن هوكنج وهو واحد من أكبر علماء الفيزياء والكم والرياضيات بقوله: «أن العلماء سيستطيعون في المستقبل غير البعيد أن يحدثوا تغييرات في صناعة الإنسان.. وستكون هذه التغيرات صناعية حقاً أي من فعل الإنسان وليست طبيعية أي ليست من فعل الله.»

أن العلماء سيمكنهم أن يتوصلوا إلى اطالة عمر الإنسان في الحياة الدنيا أو تطوير قدرات ذكاؤه أو التغلب على التشوهات والعوائق الخلقية فيه أو تحسين صورته الخلقية.. إلى غير ذلك من التغييرات التي يمكن أن تحدث عن طريق التحكم في جينات الوراثة ومكوناتها. ولكن سيظل (الموت) هو مصير الإنسان حتى ولو عمر ألف سنة أو أكثر. وفي أي مكان كان داخل كوكبنا وفي محيطه أو خارج كوكبنا ومحيطه كما يقول القرآن العظيم ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:٧٨].